حول المقترحات الأمريكية

بصراحة ....

بقلم الأستاذ محمد حسنين هيكل

بجريدة الأهرام يوم ٢١ أغسطس ١٩٧٠

١٣٠

١٠ أطراف في صراع الشرق الأوسط
و٣ ملاحظات لا تحتمل التأجيل

٢١ أغسطس سنة ١٩٧٠

أريد هذا لأسبوع ، وربما الأسابيع عديدة قادمة ، وكما اتفقنا فى حديث سبق ، أن أبدأ محاولة استكشاف واسعة لمواقف وتحركات كل طرف من أطراف الصراع الكبير والخطير الدائر الآن فى قلب الدنيا .. هنا فى الشرق الأوسط !

ولو جاز لى أن أقوم بعملية حصر لأطراف هذا الصراع الكبير والخطير ، لعددت عشرة أطراف فيه ، على النحو التالى :

١ – إسرائيل (ركيزة الاستعمار فى المنطقة ، ورأس جسره العسكرى على الشاطئ الشرقى للبحر الأبيض) .

٢ – مصر (طليعة حركة التحرر العربى ، السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، والقاعدة الأساسية لتيارها التاريخى)

٣ – الولايات المتحدة الأمريكية (السند الرئيسى لإسرائيل) .

٤ – الاتحاد السوفيتى (السند القوى لحركة التحرر العربى).

٥ – الشعب الفلسطينى (وبالذات جماهيره فى الأرض المحتلة وهى التى تتعرض مباشرة للمواجهة مع الاحتلال الإسرائيلى) .

٦ – منظمات المقاومة الفلسطينية (وتهمنى منها منظمة « فتح » على وجه التحديد ، وكان هذا موقفى دواماً ولايزال) .

٧ – بعض الدول الغربية ذات المصالح فى المنطقة (ويستحق التركيز فى هذه الناحية ، دور فرنسا ، وهو دور مقبول فى

اتجاهاته العامة ، ثم دور بريطانيا ، وهو دور مشبوه جملة وتفصيلا ، وهو يمارس عمله من وراء حزب البعث العراقى ، والصلات بين الاثنين سر ذائع فى بغداد بالوقائع والأسماء والأرقام)

٨ ــ بعض الأنظمة العربية التى تتجمع الآن ، أو تجرى الآن محاولة تجميعها فى حلف كراهية « وهو حلف يتزعمه حزب البعث فى العراق ، ويقوده الرئيس المهيب أحمد حسن البكر ، وأذكر هنا أن وصف « المهيب » ليس من عندى للتفخيم ــ فليس ذلك مقصدى ــ وليس من عندى للسخرية ــ فليس ذلك أيضاً مقصدى ــ وإنما هو اللقب العسكرى الرسمى الذى منحه حزب البعث العراقى لقائده ، الذى لا يحسن ترتيب أحلاف حرب فى ساحة قتال ضد العدو ، ولكنه يحسن ترتيب احتفالات مشانق فى أى ميدان عام فى عاصمة الرشيد الصابرة ، التى هربت من نورى السعيد ، لتجد نفسها فى قبضة عبد الكريم قاسم ، ثم هربت من قبضة عبد الكريم قاسم ، لتجد نفسها فى حمام دم مع المهيب !!)

٩ ــ القوى الجديدة فى العالم العربى ، (وتتمزق هذه القوى بين أحلامها وبين الواقع) .

١٠ ــ الرأى العام العالمى (وحركته لها أهمية كبرى وتكاد تكون فى بعض المواقف حاسمة ، ولعلنا نذكر أن الثورة الفيتنامية

حققت من الانتصارات ، وسط الرأى العام الأمريكى نفسه ، مالا تقل قيمته السياسية عما حققته فى ميدان القتال العسكرى نفسه) .

هذه بشكل ما ، هى الأطراف فى الصراع الكبير والخطير فى قلب الدنيا .. أو فى الشرق الأوسط .

تختلف أدوارها ، وتختلف أهدافها ، لكنها جميعاً تتحرك على المسرح ، وكلها موجودة فى الصراع أو بالقرب منه .

لكنى أريد ، قبل أن أبدأ حديث هذه الأطراف جميعها ، وهو حديث لا أعرف إلى متى يطول ، أن أقف قليلا أمام مجموعة من الملاحظات ، يخطر ببالى أنها لا تقبل الانتظار ، لصلتها بالحوادث الجارية ، أو ربما لأنها تساعد على فهم الجو العام للمسرح الذى يقف عليه الأطراف العشرة فى الصراع .. سواء كانوا من الأبطال فى قصته ، أو كانوا من الكومبارس !

* * *

الملاحظة الأولى ، أنه برغم سريان مفعول ترتيبات وقف إطلاق النار المؤقت على الجبهة المصرية ؛ فإن العدو لم يحول أنظاره عن هذه الجبهة ، وإنما ظل اهتمامه بالكامل موجهاً نحوها ، وتركيزه من الأول إلى الآخر ، منصباً عليها .

كان يتسمع كل همسة وكل نبضة عليها ، وكان يضع كل

اختلاجة عصب أو طرفة عين فيها تحت منظار مكبر .

وبدأ العدو حملته حول حكاية بطاريات الصواريخ على الجبهة المصرية.

وراح يروى القصص عن عملية نقل كميات ضخمة من هذه البطاريات إلى مواقع الجبهة الأمامية ، خلال زحام ترتيبات وقف إطلاق النار .

ثم مضى يذيع التفاصيل تلو التفاصيل عن المواقع الجديدة التى يجرى بناؤها ، وعن المواقع القديمة التى يجرى إصلاحها .

وتتابعت شكاواه إلى الولايات المتحدة ، وإلى الأمم المتحدة ، وبصرف النظر عن الصدق والكذب فى كل روايات العدو ، فإن الحقيقة تبقى قاطعة فى أن العدو لم يحول اهتمامه أو تركيزه عن الجبهة المصرية .

كل الجبهات العربية الأخرى، التى رفضت بشدة — !! — وقف إطلاق النار المؤقت ، بينما هى ملتزمة بشدة — !! — بوقف إطلاق النار الدائم لم تأخذ من اهتمامه أو تركيزه شيئاً !

ولم يكن ذلك موقف العدو وحده ، وإنما كان أيضاً موقف أصدقائه ، فى واشنطن ، كما نقلت وكالة الأنباء الفرنسية ، فى برقية لها صادرة عن العاصمة الأمريكية ، قول دوائر أمريكية مسئولة بالحرف :

« إن أية عمليات يمكن أن تحدث على الجبهة السورية أو

الأردنية أو اللبنانية، هي أشياء طفيفة، تفتقر إلى أية دلالة عسكرية، ولكن منطقة الخطر التي يعتد بها هي الجبهة المصرية »..

ما هو السبب الذى يدفع العدو وأصدقاء العدو إلى هذا الاهتمام والتركيز على الجبهة المصرية ؟

السبب أن العدو وأصدقاء العدو يعرفون مع الأسف.

يعرفون أن الذين يقال الآن إنهم مهتمون « بالحل السلمى » كانوا هم وحدهم الذين يحاربون ، وأن الذين فتحوا الباب أمام عودة يارنج إلى مهمته ، هم وحدهم المستعدون للعودة إلى ميدان القتال .

يعرفون ذلك ، ويعرفون أكثر منه مع الأسف أيضاً .

يعرفون أن الذين يقولون الآن « بالحل العسكرى وحده » هم الذين لم يحاربوا ، ولن يحاربوا . طلقاتهم كلمات ..وكلماتهم طلقات !

يحاربون بالطلقات على منابر الخطابة ، ويحاربون بالكلمات فى ساحة ميدان القتال .

خلطوا بين وظيفة البندقية ومكان استعمالها ، وبين وظيفة الميكروفون ومكان استعماله ..

عكسوا الوظيفة والمكان فى استعمال البندقية واستعمال الميكروفون؛ ثم رفضوا أن يسمعوا كل الذين حاولوا إشفاقاً أو تصحيحاً أن يلفتوا نظارهم إلى الخلط المخيف الذى وقعوا فيه ، وإلى تنبيههم بأعلى صوت

أنه : ليست هكذا الحرب !

والوجه الآخر لهذه الملاحظة الأولى عن العدو ، واهتمامه وتركيزه على الجبهة المصرية ، ومعرفته مع الأسف، بما يجرى على غيرها ، يكشف عن موقف بعض القوى العربية ، وأبرزها اليوم حزب البعث العراقى وقيادته .

إن العدو كما رأينا وسمعنا لم يحول اهتمامه وتركيزه عن الجبهة المصرية ، وأما هم حكام حزب البعث فى بغداد ، فإنهم حولوا أنظارهم عن العدو ، وتوجهوا تعمداً وترصداً نحو القاهرة .

كان يجب أن تغضب مصر منهم ، لأنهم لم يطلقوا النار أبدا ..

وبدلا من ذلك، فإنهم — وهم — غضبوا من مصر ، لأنها أوقفت إطلاق النار مؤقتاً ، نتيجة لسياسة قدرتها ورسمتها وتقبلت عواقبها .

كان يمكن لموقفهم أن يكون أكثر وضوحاً ، لو أنهم قالوا لنا فى مصر :

« أنتم لا تحاربون العدو نيابة عنا .. وإذن فسوف نحاربه نحن ! »

بدلا من ذلك ، كان قولهم لنا فى مصر :

«أنتم لا تحاربون العدو .. إذن فسوف نحاربكم نحن بالنيابة عنه!»

* * *

الملاحظة الثانية — مما لا يقبل الانتظار الآن — لها هى الأخرى

وجهان ، أحدهما يتصل بعلم العدو ، والآخر يتصل بالجهالة ، أو ربما بالجاهلية ، التى تغطى بعض الرؤوس العربية وتملؤها بظلمة مكثفة لا ينفذ منها شعاع !

علم العدو فى إسرائيل ، مكنه من أن يدرك أن هناك نقطة تحول خطيرة فى أزمة الشرق الأوسط .

لقد كانت هناك تحولات هامة سبقت هذه النقطة الخطيرة .

صمود الشعب المصرى كان تحولا هاماً .

صمود شعوب الأمة العربية كان تحولا هاماً .

إعادة بناء الجيش المصرى كان تحولا هاماً .

ولكن هناك نقطة بارزة فى مجرى الصراع على أرض الشرق الأوسط بدأت هذا العام ، وتمثلت فى تزايد الدعم السوفيتى لمصر سواء بالأسلحة الحديثة ، أو بالخبراء .

* * *

إن نقطة التحول البارزة والخطيرة فى مجرى الصراع ، والتى بدأت هذا العام تشبه من نواح كثيرة ، ومع اختلاف الظروف ، ذلك الإنذار السوفيتى المشهور فى حرب السويس سنة ١٩٥٦ .

وكان الإنذار السوفيتى فى حرب السويس مصحوباً بالتلويح

إلى خطر الحرب النووية ، وفهمه أيزنهاور — الرئيس الأمريكى — وقتها وتحرك استباقاً يحاول كبح جماح حلفائه من شركاء العدوان الثلاثى .

لكن الظروف الدولية بما فيها التلويح باستخدام الأسلحة النووية — اختلفت كثيراً عن سنة ١٩٥٦ .

كان العالم سنة ١٩٥٦ ، وفى عهد أيزنهاور وبولجانين ، محكوماً بنظرية الردع النووى .

وسنة ١٩٦٧ ، وسنة ١٩٧٠ ، فإن نظرية الردع النووى فقدت قيمتها ، نتيجة اليقين الجديد لدى الدول العظمى بأن القوة النووية لم تعد قابلة للاستعمال ، وبالتالى فإن التلويح بها فقد قيمته .

إن نظرية الردع النووى على هذا الأساس توارت ، وأفسحت المجال للرد أو للردع المرن الذى يسمونه الآن flexible response والذى يتصاعد ، وبالأسلحة التقليدية المتطورة درجة بعد درجة ويدق الأجراس مع كل درجة فى التصاعد منبهاً إلى أن احتمالات المواجهة الرهيبة تقترب .

وذلك بالضبط مايجرى أمام عيوننا الآن ، أو هو شىء قريب منه :

* ما حدث سنة ١٩٥٦ ، هو أن الاتحاد السوفيتى — وبالنظرية السائدة للأمن الدولى فى ذلك الوقت وجه إنذاراً ، لوح فيه بالأسلحة النووية .

* وما حدث سنة ١٩٧٠ : هو أن الاتحاد السوفيتى — وبالنظرية السائدة حالياً للأمن الدولى — وجه إنذاراً تصاعد فيه بدرجة اهتمامه بأزمة الشرق الأوسط.

ولا يختلف المضمون ، وإنما يختلف الأسلوب.

* سنة ١٩٥٦ ، قال الاتحاد السوفيتى للولايات المتحدة الأمريكية :

« إننا لن نسمح للاستعمار وأدواته بأن ينفردوا بمصر ، وأن يسووا حسابهم على هذا النحو مع حركة التحرر العربى »

قال الاتحاد السوفيتى ذلك .. وقاله بأسلوب العصر وقتها.

* وسنة ١٩٧٠ ، قال الاتحاد السوفيتى للولايات المتحدة الأمريكية :

« إننا لن نسمح للاستعمار وأدواته بأن ينفردوا بمصر ، وأن يسووا حسابهم على هذا النحو مع حركة التحرر العربى ».

قال الاتحاد السوفيتى ذلك .. وقاله أيضاً بأسلوب العصر.

هكذا يمكن القول بأنه فى هذا العام سنة ١٩٧٠ — فإن الاتحاد السوفيتى وجه إنذاراً مماثلا فى المضمون ومختلفاً فى الأسلوب — لسنة ١٩٥٦.

والفارق بين الإنذاريين ، هو سرعة الردع.

. . . .

. . . .

كانت الصواريخ العابرة للقارات ، وما تحمله هى رمز الإنذار الأول سنة ١٩٥٦ .

وكانت الصواريخ المضادة للطائرات من أحدث طراز ؛ هى رمز الإنذار الثانى سنة ١٩٧٠ .

ويمكن القول بأن الإنذار السوفيتى كان هذه المرة على طريقة التصوير السينمائى البطىء slow motion

إن علم العدو ، مكنه من أن يدرك ذلك .

وفى بداية إدراكه فإنه حاول – كما فعل أطراف العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ – أن يجرى إلى الولايات المتحدة ويصور لها أن « مصير الغرب كله فى خطر » وأن « الحضارة الغربية ذاتها مهددة » .

وتلك بالحرف عبارات وردت على لسان جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل ، وعلى لسان آبا إيبان وزير خارجيتها .

وتلقف بعض الكتاب الأمريكين ممن يسمون أنفسهم بالصقور من أمثال جوزيف السوب ، وجوزيف كرافت ، صرخات إسرائيل وحاولوا تضخيمها ، وكانت دعوتهم الصريحة بتدخل

الولايات المتحدة مباشرة مع إسرائيل ، وبقدر أكثر ظهوراً أو سفورا ، من تدخلها الحالى ، لأن « مصير الغرب فى خطر » ولأن « الحضارة الغربية مهددة » .

وكان على حكومة الولايات المتحدة أن تقرر لنفسها :

تراجع موقفها .. أو تمادى فيه .

إن سلم التصاعد له بداية . . ومع أن درجاته كثيرة ، إلا أن لها فى الآخر نهاية .. وهذه النهاية تقف على الحافة الخطرة للمواجهة .

وإذا وصلنا إلى الوجه الثانى من هذه الملاحظة ، وهى جهل أو جهالة بعض الرؤوس العربية بحقيقة ما جرى ، فى مواجهة علم العدو بهذه الحقيقة . . فإن المشهد الذى نجده أمامنا يكاد يدعو إلى اليأس ، لولا أنه موقف قلة فى العالم العربى . . وهى قلة معزولة .. ليس فقط عن حقائق العصر الكبرى ، ولكنها أيضاً معزولة عن أوسع الجماهير التى تدرك بحسها المرهف حقائق العصر الكبرى حتى وإن بدا تحليلها العلمى صعباً ومعقداً .

إن بعض الرؤوس العربية المليئة بالظلام المكثف ، لم تكتف بالتهجم على مصر ، التى تحارب فعلا ، والتى تعمل سياسياً لتحريك حقائق العصر الكبرى لصالح النضال العربى .. وإنما امتد

الغمز إلى موقف الاتحاد السوفيتى ، الذى قام بدوره فى تحريك حقائق العصر الكبرى .. وأكثر من ذلك .. الذى لا يوجد فى أى يد عربية سلاح له فاعلية غير سلاحه .

* * *

تجىء الملاحظة الثالثة بين هذه الملاحظات ، التى لا تحتمل التأخير .

وهذه الملاحظة بدورها ، لها وجهان :

وجه إسرئيلى .. ووجه عربى .

. . . .

. . . .

إن الولايات المتحدة الأمريكية اضطرت – ولم تتطوع – تحت ضغط حقائق العصر الكبرى إلى جانب عوامل أخرى صنعها صمود الشعب المصرى والجيش المصرى والأمة العربية – إلى تحويل أنظارها من جنوب شرق آسيا إلى الشرق الأوسط .

وتقدمت الولايات المتحدة الأمريكية باقتراح تبنته الدول الأربع الكبرى لا يحوى – إطلاقاً – غير إجراءين :

* وقف إطلاق النار على الجبهة المصرية لمدة ٩٠ يوماً .

* تكليف السفير جونار يارنج بأن يحاول ، من جديد تنفيذ

قرار مجلس الأمن الصادر بتاريخ ٢٢ نوفبر سنة ١٩٦٧ ، وهو قرار قبلته مصر ، ورفضته إسرائيل لأنه بصرف النظر عن أى شيء آخر ، يقول بالانسحاب من الأراضى المحتلة سنة ١٩٦٧ ، وهذا آخر ما ترغب فيه إسرائيل لأنه إذا حدث تكون حربها كلها سنة ١٩٦٧ قد انفجرت فى الهواء كبالون ضخم لم يكن يملؤه غير الفراغ !

كان هدف الولايات المتحدة — بكل وضوح — هو وقف حركة التصاعد على السلم الخطر ، وإتاحة فرصة لالتقاط الأنفاس .

ومازال هناك الكثير مما يمكن أن يقال عن مقاصد اقتراحها الذى تقدمت به :

• هل تقدمته الولايات المتحدة وهى تحسب أن مصر سترفضه بسبب مصدره ، وبصرف النظر عن أى اعتبار سياسى آخر .. وبالتالى تكون الولايات المتحدة حرة فى الحركة التالية على سلم التصاعد الخطر ؟ .. ربما !

• هل سكتت إسرائيل عليه ، حاسبة هى الأخرى أن مصر سترفضه بسبب مصدره ، وبصرف النظر عن أى اعتبار سياسى آخر .. وبالتالى تكون الولايات المتحدة ملتزمة أمامها بالحركة التالية على سلم التصاعد الخطر ؟ .. ربما أيضاً .

إن قبول مصر ، وضع الولايات المتحدة أمام مسئولية الحركة التالية على سلم التصاعد الخطر .

. . . .

. . . .

وهنا يجيء صلب الموضوع فى الوجه الإسرائيلى من هذه الملاحظة ..

إن الولايات المتحدة بدأت تمارس تأثيراً داخل إسرائيل ، لحملها على القبول باقتراحها ،وراح التحالف الإسرائيلى المتربع فى الحكم منذ يونية سنة ١٩٦٧ يشعر بالضيق ، تحت التأثير الأمريكى ، ولا أقول الضغط .

وزاد الضيق إلى درجة تنذر بانفجار .

لكنهم هناك — مع الأسف الشديد — تصرفوا بطريقة متحضرة .

كان حزب جحال يعارض الاقتراح الأمريكى بشدة ، لأنه أدرك منذ البداية أنه خطوة أولى على الطريق الطويل والشاق للانسحاب من الأراضى المحتلة .

وعرضت جولدا مائير على حزب جحال أن يحتفظ برأيه ولكن يترك للحكومة الإسرائيلية حرية التصرف فى وجه الموقف الطارئ حتى تتمكن من تغييره .

ولم يقبل حزب جحال .

وعرضت جولدا مائير عليه أن يصوت داخل مجلس الوزراء ضد الاقتراح ، ولكن يبقى فى الوزارة .

ورفض حزب جحال .

واجتمعت اللجنة المركزية لحزب جحال ، وناقشت ، ودرست ، وتعمقت ، وقررت بأغلبية بسيطة أن تخرج من التحالف الحاكم ، وخرجت منه فعلا ، وانتقلت إلى صفوف المعارضة ، على وعد ، عبر عنه أحد أقطاب الحزب ، وأحد أقطاب المؤسسة العسكرية فى نفس الوقت ، وهو الجنرال أيزرا وايزمان :

— « إننا سنعود إلى الحكم إذا دعينا بعد فشل المحاولة التى تجرى الآن ، لإرغام إسرائيل على الانسحاب من الأرض المحتلة سنة ١٩٦٧ .. أرض إسرائيل الكبرى المحررة من العرب !! »

وكانت آهات الألم تسمع من إسرائيل ، ولكنها كانت آهات مكتومة .

قال مناحم بيجن ، زعيم حزب جحال :

— إن وجود إسرائيل — أساساً — فى مهب العاصفة .

وتواضعت جولدا مائير رئيسة الوزراء ، وقالت :

ـ إن أمن إسرائيل، فقط ، هو الذى يقف الآن فى مهب العاصفة .

* * *

على الوجه العربى من هذه الملاحظة كان هناك بين العرب ، من تصرفوا بطريقة لا تحمل لمسة حضارة .

كان هناك من رفضوا قبل أن يعرفوا ، ومن تعصبوا قبل أن يناقشوا .

كان عليهم ـ على الأقل ـ أن يسمعوا ما يقوله العدو عن « وجود إسرائيل ، أو أمن أسرائيل الذى هو فى مهب العاصفة»، قبل أن يتعالى صراخهم وعويلهم بأن مصر قبلت حلا تصفويا استسلامياً .

وكان عليهم ـ على الأقل ـ أن يدرسوا معنى انهيار الائتلاف الإسرائيلى الحاكم قبل أن يهرولوا إلى التنادى بأحلاف الكراهية ضد مصر !

كان عليهم أن يسائلوا ما بقى فى الضمائر ، إذا كان قد بقى فيها شىء :

« إذا كانت مصر ستصفى وتستسلم .. إذن ففيم كان عناؤها كل هذه السنوات الطوال .. ؟ »

وكان عليهم أن يسائلوا ما بقى فى الضمائر ، إذا كان قد بقى فيها شيء :

ـ ليكن هواهم أن مصر ستصفى وتستسلم .... أفليس الأجدى من أحلاف الكراهية ضد مصر ، أن تكون هناك أحلاف تقاتل العدو؟ »

ولقد كان يكفيهم ، لتبين موقفهم أن يسمعوا ـ ولو مرة واحدة ـ إذاعة إسرائيل أو إذاعة لندن .

فى هذه الإذاعات الناطقة بصوت العدو ، وبصوت أصدقاء العدو ، فإن النجم الجديد هو بعث العراق .

وكان عليهم بعد ذلك ، أن يتذكروا الحكمة القديمة ، القائلة : «بأنه حين يمدحنى العدو ، فمعنى ذلك أننى على الطريق الخطأ والخطر » .

لكن الكراهية كانت غلابة على كل تساؤل أو سماع .

ووقف حزب البعث العراقى حيث هو الآن .. وحيث كان بالأمس .. وحيث سيكون غداً ، مجرد تاجر سوق سوداء فى حرب يتقرر فيها مصير أمته ، لكن كل ما يعنيه أن يختلس لنفسه أى غنيمة رصيد ، حتى ولو كانت هذه الغنيمة على حساب الدم الزكى لشهيد .

* * *

برغم هذه الملاحظات الثلاث ، ولكل منها جانباه الإسرائيلى والعربى ، تبقى أمتنا بخير ، وتظل أقوى من عدوها .

والدليل أن زمام الحوادث فى يدها .

وأنها تتحرك ، عارفة من أين وإلى أين ..

وإن حركتها على الهجوم وعدوها على الدفاع .

* * *

لكنى أكتشف الآن فجأة ، أن ثلاث ملاحظات سريعة لم تكن تقبل الانتظار ، قد عطلتنى عن مواقف وتحركات عشرة أطراف عددتهم فى الصراع الكبير والخطير الذى يجرى الآن على أرض الشرق الأوسط .